

الأخلاق

وما ينجم عنه من مساوئ الأخلاق

وبليها

الأخلاق الحميدة للمرأة المسلمة الرشيدة

الشيخ عبد الستار زيد آل محمود
رئيس المحاكم الشرعية والشؤون الدينية
بدولة قطر

الملكيتة القيمة

مدينة نصر - الحى السابع - شارع طه الدهبارى

بلوك ٨٦ - عمارة ١٤ - أمام السوق

ت : ٦٠١١٧٢

حقوق الطبع محفوظة
للمنشر

المكتبة القيمة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الثانية
١٤٠٧ هـ

يطلب الكتاب من :

- ١ - مكتبة الصحافة : بميدان العباسية - القاهرة - ت ٢٥٧٥٣٠٣
- ٢ - المكتبة الإسلامية : ٧٤ شارع مصر والسودان - حدائق القبة - القاهرة
- ٣ - مكتبة النور : ٨ شارع الأهرام - بجوار سينما بالاس - روكسى القاهرة - ت : ٢٥٨٤٥٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الأمراء والى الوزراء والى العقلاء المفكرين من المسلمين :
سلام الله ورحمته عليهم أجمعين ، وأسأل الله لى ولهم التوفيق
للتمسك بالدين وطاعة رب العالمين ، وأن يعيذنا واياهم من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ومن همزات الشياطين •

أما بعد — فان الدين النصيحة لله ولدينه وعباده المؤمنين ، وقد أوجب
الله علينا بنص القرآن بأن نتعاون على البر والتقوى ، وأن نتناهى عن
الاثم والعدوان ، وأن دين الاسلام هو دين كامل وشرع شريف شامل ،
مبنى على جلب المصالح ودرء المفاسد ، فلا يحرم شيئاً من المحرمات ، الا
لأنه ضار بفاعله وبالناس مباشرة ، أو تسبياً ، ومدار سياسة الاسلام على
ستة أمور ، أحدها : حفظ الدين ، والثانى : حفظ الأنفس ، والثالث :
حفظ الأموال ، والرابع : حفظ الأنساب ، والخامس : حفظ العقول ،
والسادس : حفظ العروض : أى حفظ الفروج •

ومن أجل حفظ العروض ، حرم الله الزنا وحرّم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ، وحرّم ابداء زينة المرأة المسلمة لغير زوجها ومحارمها ، ونهى عن
الخلوة بها وعن سفرها بغير محرم ، وعن النظر اليها بشهوة ، كل هذه
الأمر حرمها لكونها تفضى الى الفاحشة الكبرى ، والوسائل لها أحكام
المقاصد ، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، فالشرع الحكيم حمى
حمى العروض وسد الطرق التى تفضى الى السفاه والفساد والاخلال
بنظام النكاح الحلال ، وقال تعالى : « **تلك حدود الله فلا تعتدوها ،
ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه** » • وحدود الله محرماته •

ان الأمراء والعلماء والوزراء ، يجب أن يكونوا بمثابة المرابطين دون
ثغر دينهم ووطنهم ، يحمونه عن الالحاد وتسرب دخول الفساد على العباد ،
لاعتبار أنهم متكاتفون متكاملون فى جلب المصالح ودفع المضار ، يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله •

فمضى قصر هؤلاء بواجبهم وتكاسلوا عن حماية دينهم ووطنهم وتركوا الخمر تجلب الى بلدهم والحوانيت تفتح لبيعها ، وتركوا بلدهم معطنا لمراتع الفسوق ، فلم يأخذوا على أيدي سفهائهم في منعهم عما يضرهم ، فانه بذلك يتحقق خراب البلاد وفساد العباد وخاصة النساء والأولاد ، فتسود الفوضى وهتك الأعراض ويصابون بفتنة في الأرض وفساد كبير ، لأن بقاء الأمم ببقاء أخلاقهم ، فاذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا • يقول الله : **« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »** • والمراد بالهلاك هنا هو هلاك الأخلاق ، لأنه أضر من هلاك الأبدان ، والفتنة أشد من القتل •

ان العقلاء لا ينبغي لهم أن يغتروا بكثرة الأصوات في طلب ما هو محض الضرر عليهم في أخلاقهم ، فان كثرة الأصوات ليست بحجة في اباحة المحرمات مع قيام الدليل والبرهان على البطلان ، ولأن كثرة الأصوات تنشأ غالبا عن الهوى والحب للمشئ • والله يقول : **« وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون »** • وأكثر الناس في هذا الزمان يفضلون التحل عن عقل الدين وأخلاقه وآدابه وحلاله وحرامه ، ويحبون أن يعيشوا في الدنيا عيشة البهائم ، ليس عليهم أمر ولا نهى ولا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام •

واعتبروا بالبلدان التي قوضت منها خيام الاسلام وترك أهلها فرائض الصلاة والصيام ، واستباحوا الجهر بمنكرات الأخلاق والعصيان ، وصرفوا جل عقولهم وجل أعمالهم وجل اهتمامهم للعمل في دنياهم ، واتباع شهوات بطونهم وغروجهم ، وتركوا فرائض ربهم ، ونسوا أمر آخرتهم ، فانظروا كيف حالهم وما دخل عليهم من النقص والجهل والكفر وفساد الأخلاق والعقائد والأعمال ، حتى صاروا بمثابة البهائم ، يتهارجون في الطرقات لا يعرفون صياما ولا صلاة ، ولا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، ولا يمتنعون من قبيح ولا يهتدون الى حق ، قد ضرب الله قلوب بعضهم ببعض فذهبت منهم الديانة وفشت من بينهم الخيانة ، واستشرت الفوضى والفساد ، فاعتبروا بسوء حالهم وفساد أعمالهم ، **« فان خير الناس من**

وعظ بغيره » ، وقد ضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - لكم مثلا فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، فقال : « مثل القائم في حدود الله الذين ينكرون المنكرات ويسعون في ازالتها ، ويأخذون بأيدي سفهائهم عن مواقعتها ، ومثل الواقع في المنكرات كمثل قوم ركبوا في سفينة فصار بعضهم في أعلاها ، أى في السطح وبعضهم في أسفلها ، أى في الخن ، فأراد الذين في الخن أن يخرقوا خرقا يتناولون منه ماء البحر من عندهم ، قال : فان أخذوا على أيديهم ومنعوهم نجوا ونجوا جميعا ، وان تركوهم وما يصنعون هلكوا وهلكوا جميعا » وهذا مثل مطابق للواقع ، فان انكار المنكرات نجات للمنكرين والفاعلين والناس أجمعين ، لأن انكارها هو مما يقلل فثوها وانتشارها ، واذا خفيت المعصية لم تضر الا صاحبها • أما السكوت عن انكار المنكرات ، فانه مدعاة الى الغرق فيها ، لكون السكوت عنها هو مما يسبب فثوها وانتشارها ، والمحسن شريك للمسيء ، اذا لم ينهه ، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - « والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفية ولتأطرنه على الحق أطرا ، (أى تلزمونه به الزاما) ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده » •

وان هذا الاختلاط بين الشباب والشابات ، واحتكاك بعضهم ببعض جنبا الى جنب ، وجريان الحديث والمزاج من بينهما ، ثم المصاحبة والخلوة كما تقتضيه المجالسة والمؤانسة ، فان هذا العمل ضار في ذاته ومؤد الى الفاحشة الكبرى في غايته وسوء عاقبته ، لأنه يعد من أقوى الأسباب والوسائل لافساد البنات المصونات وتمكن الفساق من اغوائهن بنصيب حبائل المكر والخداع لهن •

والفساق هم الذين يحرصون أشد الحرص على مثل هذا الاختلاط لينالوا أغراضهم ويشبعوا شهواتهم من التمتع بالنظر الى البنات المصونات عنهم طول الحياة ، والصيانة نعم العون على العفاف والحصانة ، فان من العصمة أن لا تقدر وما من نظرة الا وللشيطان فيها مطمع •

الى متى نعش أنفسنا أو نعش بناتنا وأهل ملتنا ، ونتعامى عما يترتب على هذا الاختلاط من فساد الآداب ومساوىء الأخلاق ، فالنظرة هي نظرة في مبدأها لكنها تكون خطرة في القلب • ثم تكون خطوة بالقدم ، ثم تكون خطيئة ، وكم نظرة أورثت صاحبها حسرة وهي تحسب من مقدمات الزنا لما في البخارى ، أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : « العينان تزنيان وزناهما النظر والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » ولهذا أمر الله المؤمنين ، بأن يعضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، وكما أمر المؤمنات بأن يغضن من أبصارهن ويحفضن فروجهن ولا يبيدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، وكما أمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بأن يدنبن عليهن من جلابيبن وأن لا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى •

أيها الاخوان المسلمون :

ان تحويل النساء المسلمات عن الآداب الاسلامية والعادات العربية الى اتباع تقليد النصارى فى أخلاقهم وزيهم وعاداتهم انه مبدأ لقطع الرابطة الاسلامية والأخلاق الدينية ، وتقويض لدعائم الشرف والحياء والستر ، وفتح لباب السفاح والفساد •

فليس ضرره مقصورا على عصيان النساء لأمر الله فى ابداء زينتهن للأجانب فى هذا المقام ، وجرأتهن فى اختلاطهن بالأغيار وما ينجم عنه من فنون الأضرار على الدين والشرف والعرض فحسب ، بل ان ضرره يتعدى بطريق العدوى والتقليد الأعمى من طور الى طور ومن بلد الى بلد اذا لم يوجد من يعارضه ، بمنعه من القائمين على الناس بالأصلاح والعدل ، لأن الأخلاق تتعادل والطباع تتناقل كما هو المعروف من انتشار البدع والأخلاق السيئة ، ولهذا مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - المتمسكين بدينهم عند فساد الناس ، فقال : « طوبى للغرباء الذين يصلحون اذا فسد الناس » ، وفى رواية « يصلحون ما أفسد الناس » وهم قوم صالحون نليل فى قوم سوء كثير • والرجل الصالح يصلح الله به أهله وكثيرا من أهل

بلاده ، وان أكثر ما يجنى على الناس بالشر ويوقعهم في فعل المنكر ، هو تقليد بعضهم لبعض ، لكون الناس في تقليدهم للغير يسهل في نفوسهم فعل ما يسوء فعله ولا قدوة في الشر ، فقد قيل : لا تستوحش طرق الاسلام من قلة السالكين ، ولا تغتر بكثرة الهالكين التاركين لأخلاق الدين ، فان الله

يقول : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » •

ان تحويل النساء المسلمات عن أخلاقهن الدينية انه يقع بتأثير روح أخلاق أجنبية غايتها تحويل المسلمات عن دينهن وجميل أخلاقهن الى اتباع الأوروبيات وتقليدهن في عاداتهن « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى » ، فتقليد المسلمين لغير المسلمين في مثل هذا الاختلاط هو مدعاة الى فتنة في الأرض وفساد كبير ، وان يخفى ضرره على من له مسكة من عقل أو دين ، ولكن الهوى يعمى ويعم •

وحتى النصارى على كفرهم أصبحوا وهم يعانون الشقاء ويشكون منه الويلات على أثر الويلات ، من جراء افساده الأخلاق البنين والبنات وسائر البيوت والعائلات ، فهم يتمنون الخروج منه وأن تكون حالتهم في صيانة عائلتهم كحالة المسلمين •

وان العرب المسلمين في تقليدهم لغيرهم فيه شبه الطفل الصغير مع الرجل الأحمق الفاجر ، يحسب الطفل أن كل ما يفعله هذا الأحمق أنه مفيد له ، فاذا رآه يشرب الدخان شربه ، أو رآه يشرب الخمر شربه ، وهكذا الأمة الجاهلة لصالحتها والضعيفة في دينها ومداركها ، تحسب أن كل ما يفعله النصارى أنه مفيد لها فتقلدها على غير بصيرة من أمرها ، لاعتقادها أنه محض التمدن والتجدد وجهلت بأن رؤساء الأمم أصبحوا وهم قلقون من هذا الاختلاط وما ينجم عنه من فنون المضار وفساد الأخلاق الى حالة أن بعض رؤسائهم امتنع عن الزواج ، لما يشاهده من سوء الطباع وفساد الأوضاع ، ويقول : كيف أتزوج امرأة يأخذ بيدها خدنها من الشباب الى الصحراء والمغارات تبقى عنده اليومين والثلاثة ولا أقدر على انقاذها منه ولا صدده عنها •

وقال آخر : انى أغبط المسلمين على أشياء أهمها عندى صونهم
لنساءهم •

ان كل ما قلنا فانه يعد من البراهين التى لا مجال للجدل فى صحتها لو
كان للمسلمين رؤساء عقلاء يأخذون بأيدي سفهائهم عن اقرار مثل هذا
فيأطرونهم على الحق اطرا ، أى يلزمونهم به الزاما ، فيدبرون أمر بلدهم
بحسن رأيهم وورعايتهم ، ويتعاونون على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم
ولكنهم وللأسف أصبحوا فوضى لا سراة لهم •

تهدى الأمور بأهل الراى ما صلحوا

فان تولوا فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم ساندوا

وقد قال الحكماء : صنفان من الناس اذا صلحا صلح سائر الناس ،
واذا فسدا ، فسد سائر الناس : العلماء والأمرء •

يا معشر المسلمين العرب ، انى نذير لكم من شر قد اقترب ، انكم على
ملة اسلامية ليست يهودية ولا نصرانية ، دينها المحافظة على الفرائض
والفضائل واجتناب منكرات الأخلاق والرذائل ، وقد بعث نبيكم ليتمم اكم
مكارم الأخلاق •

وان هذا الاختلاط يعد من مساوىء الأخلاق ، وليس من خلق أهل
الاسلام فى شىء ، بل ولا من خلق العرب فى جاهليتهم ، فان العرب على
شركهم يتهاكون فى حفظ أحسابهم وأنسابهم وصيانة نساءهم فهم أبادة
العار وحماة الحرم ، حتى أن الزنا يعد قليلا عندهم كما قالت هند : أو تزنى
الحررة يا رسول الله ، استبعادا لوقوع الزنا من الحرائر ، وانما يعرف من
أخلاق الاماء ، « والرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على

بعض « ، فمتى زالت قوامية الرجل ورقابته على موليته وأمنت غيرته
ساعت طباعها وفسدت أوضاعها ووقعت فيما يكره فعله .

ان مبدأ بدعة الاختلاط انما نشأت من النصرى الأوروبين ، وكان في
شريعتهم تحريم الزنا ودواعيه ، لكنهم من أجل غلوهم في نسائهم اخترعوا
بدعة الاختلاط بين الشباب والشابات ، تمشياً مع شهوة نسائهم ليزيلوا بها
الحياء والحشمة والنفرة بين الجنسين ، ثم استرسلوا معهن في توسيع النطاق
في الانطلاق في مساوىء الأخلاق ، فأعطوا المرأة كمال حريتها تتصرف في
نفسها كيف شاعت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان ، فلها أن تعاشر
من شاعت من الأخدان وعلى أثر هذا جرى القانون في عرفهم باباحة الزنا
واللواط ، وصار كالشئ العادى التى لا تعاب به المرأة الى حالة أنهم
صاروا يمدحون المرأة المجربة ، أى التى تأتى بولد أو ولدين من غير زوج ،
فهذه هى كمال الحرية التى ينوه بمدحها النصرى ، وهى تفرق شمل أهل
البيت وتلطيخهم بالتهمة لمخالفتها لشرف الصيانة الاسلامية الجامعة بين
الكمال والجمال .

بحسب العاقل أن يعرف مبدأ الاختلاط وغايته وسوء عاقبته ، وأن
الدعاة اليه يريدون أن تكون نساؤهم وبناتهم وأهل بلدهم كحالة المرأة
الغربية ، فان لم يريدوا ذلك ، فان التقليد والاتباع يصيرهن اليه اضطراراً
لا اختياراً ، والدفع للمنكرات قبل وقوعها أيسر من رفعها بعد وقوعها ،
وحسبك من شر سماعه فما بالك برؤيته .

أما دخول هذا الاختلاط على بعض بلدان العرب المسلمين ، فان سببه
معروف وأصله ضعف الدين ، فانه لما كثرت اختلاط العرب المسلمين بالنصارى
الأوروبيين وكثرت احتكاكهم بهم وتعلموا في مدارسهم وشاهدوا ما شاهدوه
من اختلاط نسائهم برجالهم ، تأثروا بكثرة المشاهدة حتى زال بها الاحساس
عنهم لأن رؤية المنكرات تقوم مقام ارتكابها في سلب القلوب نور التمييز
والانكار ، لأن المنكرات متى كثر على القلوب ورودها ، وتكرر في العين
شهودها ذهبت وحشتها من القلوب شيئاً فشيئاً ، الى أن يراها الناس فلا

يرون أنها منكرات ، ولا يمر بفكر أحدهم أنها معاصي ، وذلك سبب سلب القلوب نور التمييز والانكار على حد ما قيل : « اذا كثر الامساس قل الاحساس » • ولهذا السبب أخذوا يقتبسون من أخلاق النصارى تدريجيا لضعف الوازع الديني في نفوسهم لهذه ، الأسباب أخذت بعض البلدان العربية تنادى بعملية الاختلاط في الجامعات اتباعا لكثرة الأصوات وترتب على أثره من التوسع في المفاسد والمنكرات وهتك الأعراض وحدوث الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ما لا يخفى على أحد ، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق والأقوال والأعمال ، ونقل صاحب المنار قائلا : ان القائمين على عملية المطالبة بالاختلاط في مصر هم المنحلون عن دين الاسلام وآدابه وأخلاقه ، والذين يودون لو مرق جميع المسلمين منه ، ويحبون أن يعيشوا في الدنيا عيشة البهائم ، ليس عليهم أمر ولا نهى ولا صلاة ولا صيام ولا حلال ولا حرام •• انتهى •

وساعد على هذا كثرة ما يشاهدونه من عرض الأفلام الخليعة والصور الشنيعة والفواحش الفظيعة التي تعبت بالعقول وتوقع في الفضول والتي هي بمثابة الدروس تطبع في نفوس النساء والشباب محبة العشق والميل الى الفجور ، بحيث تجعل القلب الخلى شجيا تساوره الهموم والغموم ، ويبتلى بطول التفكير الذي من لوازمه السهر وحرمان لذة النوم الذي جعله الله راحة ورحمة للناس ومن أسباب الصحة لأجسامهم •

فهي بمثابة شرك الكيد وجبائل الصيد للقلوب الضعيفة من الشباب والنساء التي وصفهن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تكسرهن وسرعة ميولهن بالقوارير ، لأن رؤية ما فيها من الصور المتحركة المضطربة ، وسماع ما فيها من أصوات الغناء والألحان المطربة هو مما يعلم بالحس والمشاهدة أنه يغري النفوس ويهيجها على الاندفاع الى ما يشاهدونه فيها من تعاشق وتعانق ومجاراة ومباراة ، حتى يضعف الايمان وحتى يسير محبا للمفسوق والعصيان ، فيغرق في حضيض الذل والهوان ، فهي من الأعمال الضارة التي تفسد عليهم عقائدهم وعقائدهم وآدابهم وتقطع روابط الزوجية فيما بينهم وتدنيهم من الاباحة المطلقة ولم يزل حكماء الاسلام

ورؤساء الأنام يشكون منها الويلات على أثر الويلات ، من جراء ما أفسدت عليهم من أخلاق البنين والبنات وسائر بيوت العائلات ، تفسد منهم الأديان وتدعوا الى الافتتان ، وانها والله لم توجد في بيتي ولم أشاهدها بعيني وانما بلغنى من ضررها ما يبلغ العذراء في خدرها ، فمتى كان القائم بيث أفلامها ممن لاحظ لهم في الأخلاق والدين ، ويحبون أن تشيع الفواحش بين المسلمين فانها حينئذ يترتب عليها فتنة في الأرض وفساد كبير ، والحاصل انها من منكرات الأخلاق ومن مضلات الفتن التي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ منها ، ومع الابتلاء بها ، فاننى أنصح المراقبين عليها في عرض ما يجمال وينفع من الأخلاق الفاضلة والأعمال العالية ، وأن يجتنبوا عرض منكرات الأخلاق الساقطة والأعمال السافلة ، كما يوجبه الدين والشرف والأمانة ، فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، واذا لم تستح فاصنع ما شئت •

والحاصل ، أنه يجب على الحكومة نصب رقابة عدلية لها حظ من الأخلاق الدينية ، تمنع نشر الفواحش الموحشة ، وتمنع نشر ما يقبح منظره ويسوء خيره صيانة لكرامة الناس واتقاء فتنهم واستبقاء حسن سمعتهم •

ومثله اطلاق السراح لكتاب الجرائد والمجلات الماجنة الخليعة ، الذين يقودون الأمة الى مهاوى الجهالة ، ويبثون بينهم عوامل الفساد والسفاهة ، فهم كما قال تعالى : « لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » ، فهم في لحن قولهم يحبون انتشار الفوضى اللادينية والأخلاق البهيمية ، لكون أحدهم يفضل الاباحة المطلقة على كل ما يقيد الشهوة من عقل وأدب ودين • فجنابية التحرير الذي يتطلع عليه الصغير والكبير يترتب عليها فتنة في الأرض وفساد كبير ، لكون العامة بما طبعوا عليه من السذاجة وعدم الرسوخ في العلم والمعرفة قد يغترون بما يقول هؤلاء ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، لأن من أوتى قدرة على صف الكلام قدر أن يغش به العوام وضعفة العقول والافهام عليه والمنافقون في هذا الزمان هم شر من المنافقين الذين

نزل فيهم القران ، « الذين يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » فهم يحبون أن تشيع الفواحش في بلدكم ، وقد وصفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنهم الدعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها .

ثم انه في هذا الزمان انتشرت العقيدة الشيوعية اللادينية ، حيث تسمم بها قلوب كثير من الشباب في هذا الزمان ، وجعلوها طريقة لهم وعقيدة ، ومن عقائدها : وجوب الاشتراك بين الناس في الألبضاع والأموال ويجعلون النساء بمثابة السوائب اللاتي لا يحق لشخص أن يختص بواحدة منهن دون الثاني لا زوج ولا غيره ، ويتمنون تنفيذ هذا الاعتقاد ليتوصلوا به الى نيل أغراضهم واشباع شهواتهم ، لولا معارضة المصلحين القائمين في الناس بالاصلاح والعدل لمنع هذه الفكرة التي لا تبقى شيئاً من الدين ولا من الأخلاق ولا من الأموال ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » الآية .

والحاصل أن هذا الاختلاط الذي ننصح بمنعه وعدم اقراره أنه يفضي بأهله الى أشر غاية وأسوأ حالة ، فلا ينبغي أن نغتر بمن ساء فهمه وزال قدمه في الغرق في ائمه ، فانه لا قدوة في الشر ، فان غشيان النساء لهذه الجامعات من أقوى الوسائل لتعرف الفساق بهم واغوائهن ، والفساق هم الذين يحرصون على هذا الاجتماع بالنساء ، فلا ينبغي أن نعش أنفسنا ونتعامى عما يترتب عليه من فساد الأخلاق والآداب .

تدخل البنت العذراء المصونة المحصنة هذا المجتمع المختلط وهي في غاية من النزاهة والعفة ، فتتعدد مقعد المرأة البرزة ، بحيث تكون في متناول كل ساقط وفاسق ، فيوجه السفهاء والفسقة اليها أنظارهم وأفكارهم ، ويستترسلون معها في حديث الهزل والغزل ، ويعملون لها وسائل الاغراء والايحاء ، سيما اذا كانت ذا حسب وجمال ، فلا تلبث قليلا حتى تلقى عن نفسها جلباب الحياء والحشمة وترول عنها العفة وتنحل منها رابطة العصمة ، ثم تميل الى الفاحشة المحرمة ، لأنها ناقصة عقل ودين ، ومشبهة

عقولهن بالقوارير والشباب قطعة من الجنون « ومن العصمة أن لا تقدر
والمعصوم من عصمه الله » ومتى كثر الامساس قل الاحساس •

والمستولون عن هذا أمام الله والناس هم الأمراء والنزعماء ، الذين
يجب عليهم منع طريقة اختلاط الجنسين اتقاء الفتنة ، وقد قرر العلماء بأن
المجموع الذى يتضمن المحذور يكون محظورا ، وان الوسائل لها أحكام
المقاصد وأن درء المفسد مقدم على جلب المصالح ، ومن وقع فى الشبهات
وقع فى الحرام فلاجله يجب النهى والانتهاى عن مثل هذا ، لأنه يجر الى
فنون من المضار المتنوعة متى اعتادها النساء أصبحن لا يرون بها بأسا •

أن أكبر أمر تخسره المسلمة الخفرة فى هذا الاختلاط هو خسرانها
للحياء الذى هو بمثابة السياج لصيانتها وعصمتها ، فالحياء يحسبه بعض
الناس هينا وهو عند الله عظيم ، وفى البخارى ، أن النبى - صلى الله عليه
وسلم - قال : « الحياء من الايمان » • وقال : « الحياء خير كله » • لأن
الحياء ينحصر فى فعلما يجملها ويزينها ، واجتناب ما يدنسها ويشينها ،
والحياء مقرون به البهاء والجلال والجمال ، كما أن عدم الحياء من
لوازمه ذهاب البهاء والجمال والجلال ، ترى المرأة الملقية لجلباب الحياء
فى صورة قبيحة وقحة مترجلة لا تدرى أهى رجل أو امرأة •

وإذا أردت أن تعرف خسارة فقد الحياء فانظر الى بعض البلدان التى
هجر نساؤها الحياء وتجافن عن التخلق به واعتقدن أن الانسان حيوان
ترى فيهم العجب من فساد الأخلاق والآداب ونكوس الطباع وفساد
الأوضاع ، والاخلاد الى سفاسف الشرور والفجور ، فلا تبالى بما
فعلت أو فعل بها ، شبه الحيوان ، فلا تستحى من الله ولا من خلقه ، ولا
ترغب فى أن يبقى لها شرف أو ذكر جميل تذكر به ، وهذا معنى قول
النبى - صلى الله عليه وسلم - : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » •

وان قلنا : ان النساء فى حاجة الى العلم والأدب والاصلاح وتعلم
سائر العلوم والفنون كالرجال ، فهذا صحيح والعلم النافع مطلوب ومرغوب

فيه في حق الرجال والنساء ، نكن من العلم ما يكون جهلا ، وقد استعاذ
النبي - صلى الله عليه وسلم - من علم لا ينفع ، ولا يستعيز الرسول
- صلى الله عليه وسلم - الا من الشر ، وهذا العلم النافع يمكن تحصيلها
له وحدها وفي بلدها ، بمراجعة الكتب والفنون وسائر المؤلفات وبسوان
العلماء عن المشكلات ، لأن هذا هو طريق حصول العلم للرجال والنساء ،
فالراسخون في العلم والمتوسعون فيه انما يتوصلون الى ما تحصلوا عليه
بهذه الطريقة ، فلماذا تترك المرأة هذا ، ثم تحرص ويحرص أهلها على
السفر الذي حرمة الشارع ، بقوله « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم
الآخر أن تسافر يوما ولية الا مع ذي محرم » رواه البخاري ومسلم ،
خصوصا مثل السفر البعيد الذي تتعرض فيه الى الأخطار والأضرار ، ثم
الى الافتتان بها ، الناشء عن الخلوة بها واختلاطهن بالرجال في الملاهي
والمجتمعات وسائر الأحوال والأوقات ، تقليدا بما يسمونه تحرير المرأة
عن رق أهلها وزوجها •

فبإله قل لي ماذا ينفع العائلة المسلمة من سفر ابنتهم الى مدرسة
نصرانية ، تتربى بأخلاقهم ومساوي آدابهم وان أكبر ما تستفيد هي
اللغة الأجنبية التي لا يمكن أن تخاطب بها أمها ولا أبها ولا أخواتها ، أو
تتعلم ألحان الغناء والرقص واذا رجعت الى أهلها رجعت اليهم بغير
الأخلاق والآداب التي يعرفونها منها فترى أهلها كأنهم عالم غير العالم
الذي نشأت فيه ، وتحمل في نفسها الكبر والازدراء والاحتقار لأهلها ،
فتعيب عليهم في كل ما يزاولونه من معيشتهم وأخلاقهم وآدابهم وعوائدهم ،
فتثور العداوة والبغضاء والتنافر بينها وبينهم في كل شيء ، وغايتها أنها
تبغض أهلها وأقاربها وتبغض كل ما أحبوا وألفوا ، ويبغضونها ، أفلا يكون
سفرها للتعلم على هذه الحالة شقاء وضلالة وقطعا لأواصر العائلة وبذر
شقاق ونفاق بين أفراد عائلتها • وما تستفيدة من الدريهمات في مرتباتها ،
فانها ستكون أبعد وأبعد عن أهلها ، أو لم يكون الأوفق والأليق لهذه
البنات وأهلها أن تتعلم مبادئ العلوم الشريفة عند أهلها وفي مدارس
بلدها وأهل ملتها لتستعين بالبيئة والمجتمع على تحسين تربيتها لتكون في
بيت زوجها وأهلها صالحة مصلحة ، تعاملهم بالحفاء والوفاء ، بدون نفرة

ولا جفاء ، فتكون مثالا صالحا لأخواتها وأقاربها ، قادرة على ادارة شئون بيتها وكاليد الكريمة لزوجها والصدر الرحيب لجيرانها وأقاربها ، فتعيش سيدة بيت وسيدة عشيرة ولا يوفق لهذا الا خيار النساء عقلا وأدبا ودينا ، لأن الاصلاح الصحيح هو اصلاح النشء بتربية الأخلاق والآداب الدينية •

نهى القرآن نهيا صريحا عن ابداء النساء زينتهن لغير أزواجهن ومحارمهن ، ومن المعلوم أن المرأة في حالة هذا الاختلاط ستظهر محاسنها ومفاتن جسمها ، فتبدي يديها الى قريب العضد وبها أسورة الذهب وساعة الذهب وتبدي رجليها الى نصف الساق وتكشف عن رأسها ورقبتها وقلائدها وحلق أذنها ، ولن تذهب الى هذا المجتمع الا بعد تكلفها بتجميل نفسها من الأصباغ والأدهان العطرية لعلمها أن الشباب سينظرون اليها ، فهل يشتبه على عاقل بعد هذا تحريم ابداء هذه الزينة مع الرجال الأجانب ، اذ لا محل للتردد في تحريم هذا العمل ، وتحريم التعاون عليه ، وتحريم المساعدة للأهله ، بل ولا في تحريم اقرارهم عليه والسكوت عن الانكار عليهم ، ولا حاجة الى تطويل الكلام في مفاسده •

وما يؤول اليه ، فانها بديهية بطريق العقل والاختبار ، والمفتونون بالتقليد يعلمون من مضاره المتولدة عنه أكثر مما ذكرنا ، لكنهم يستحبون العمى على الهدى ، « وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا » ، وان يروا سبيل النعى يتخذوه سبيلا ، فهم يفضلون ترك هذه الآداب الاسلامية والأخلاق العربية ويهزؤون بمن يفعلها وبمن يخالف رأيهم في تركها من كل ما يسمونه تمدنا وتجديدا •

عمى القلوب عموا عن كل فائدة

لأنهم كفروا بالله تقليدا

ان الغيرة على المحارم تعد من شيم ذى الفضائل والمكارم ، فالغيبون مهاب ومن لا غيرة فيه مهان ، والغيرة الواقعة في محلها هي بمثابة السلاح لوقاية حياة الشخص وحماية أهله ، لأن الغيرة المدوحة هي كراهة القبائح

وبغضها والنفرة منها ومن أهلها ، وكلما اشتد حفظ الانسان لصيانة نفسه وأهله قويت غيرته واشتدت شكيمته ، بحيث لا تخلوا بواديه الأراجيل •

وكلما كثرت ملبسته للقبائح وخاصة الزنا وتوابعه ، فانها تنطفىء من قلبه حرارة الغيرة ، فلا يستتكر معها فعل القبيح لا من نفسه ولا من أهله ، بل ربما يلفظ فعل الفاحشة ويزينها لغيره ، كما يفعل الديوث الذي يقر السوء في أهله ولهذا صارت لجنة عليه حرام ، كما ثبت بذلك الحديث ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يدخل الجنة ديوث » ، والديوث هو الذي يقر أهله على عمل السوء ، لأن من يهن في نفسه وأخلاقه ، فانه يسهل عليه الهوان •

فالفاسدة أخلاقهم وبيوتهم يحبون أن تفسد أخلاق الناس وبيوتهم لينطفىء بذلك عارهم ويختفى ذلهم وصغارهم ، فمثل هؤلاء يحبون أن تشيع الفواحش في بلدهم ، والغيرة من الدين ، ومن لا غيرة له لا دين له ، لأن من لوازم عدم الغيرة الرضاء بانتهاك حدود الله ومحرماته ، ولما قال رجل للنبي - صلى الله عليه وسلم - يا رسول الله ، أرأيت لو وجد أحدنا على امرأته رجلا ، ماذا يصنع ، أن قتله قتلتموه ، وان تركه ذهب ، فقال سعد بن عباد : أما أنا لو وجدته لضربته بالسيف غير مصفح ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما تعجبون من غيرة سعد وأنا أغير منه والله أغير مني ، فمدح سعدا على غيرته الواقعة في محلها » •

ان الرجل العاقل والمفكر الحازم ، يجب عليه أن يراقب العواقب ، وأن يقابل بين المصالح والمفاسد ، فان لهذه القضية ما بعدها ، اذ المنكرات يقود بعضها الى بعض وتكون الآخرة شر من الأولى ، فعند نجاح القائمين باباحة الاختلاط في مثل هذه القضية ، فانه يقودهم الى المطالبة باباحة الرقص ، ثم المطالبة باعطاء المرأة كمال حريتها تتصرف كيف شاعت ليس لزوجها ولا لأبيها عليها من سلطان ، كفعل المرأة الأوروبية ، وكأن هذا هو هدفهم الأكبر وبعمله يعملون •

ان عذر دعاة الاختلاط هو الحرص على حصول العلم والتعلم من كل الرجال والنساء ، مع اختصار مصرف النفقة في سبيله ، وهذا سهل ميسر وليس بعذر يبيح أكل الميتة للمضطر ، « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » ، فالحكومة القائمة بالمصارف على كافة شئون المعارف ومنها الجامعات ، فانها لن تعجز عن النفقة في حالة انفصال كل جنس عن الآخر ، وأما القول بدعوى الحرص منهم على حصول العلم كما يزعمون ، فان الاختلاط يعد من أسباب موانع العلم ، وتعويق حصوله ، اذ هو ضار بالمتعلمين والمتعلمات ، لكونه يغرى الشباب والشابات بالفتنة ويولعهم باللذة ويصرفهم عن فهم العلم وتعلمه ، لأن من طبيعة النفوس أنها متى أخذت بمبادئ الأمور المستلذة من النظرة والمحادثة ، فانها تسترسك بأفكارها ويشتد شغفها بها ويتدرج بثتى الوسائل ونصب الحبال الى أن تصل الى غايتها منها وتكون قبل وصول الغاية في هم وبلبال وشغل فكر وبال ، تهيم به داعية الشهوة بدافع من القاتر العصبى الناشئ عن المشاهدة والمحادثة ، حتى يضيع الكثير من وقته ودروسه في شغل قلبه بالتفكير وحتى يضيع السعى في كسبه ومعيشة أهله ، وقد يذهب ماله وعقاره في سبيل متابعته لشهواته مع ما يصاب به من توقع الأنكاد والأكدار الناشئ عن عداوة الأغيار ، وقد لا يكتفى بشغفه واحد فقط ، بل ينتقل في موانع الفسوق من واحدة الى أخرى حتى ينصرف كل الانصراف عن زوجته الشرعية التى كان يحبها قبل معاشرته لغيرها ، فيكتفى بالمسافحة واتخاذ الأخدان عن زوجته الحلال مع فساده لغيرها ، وفي هذا من المضار مالا يخفى على أحد • وان فاعله يحرم من السعادة الزوجية التى ملاكها قناعة كل واحد منهما بصاحبه ، وكذلك المرأة اذا اعتادت ذلك فانها تنبو بنظرها عن زوجها ، وتلتحق بالشاردات عن أهلن ، وفي هذا من الشقاء والجنابة على النفس والنسل والأهل وخراب البيوات وحرمان السادة ما لا يخفى على عاقل ولكن الهوى يعمى ويصم • وقد روى في الحديث « لعن الذواقين من الرجال والذواقات من النساء » •

أيها العقلاء ، اعتبروا وفكروا واعلموا بأن المسلمين ما نكبوا في مجتمعهم وأخلاقهم الا بعد ما نكبوا في نظام عائلتهم وفساد تربيتهم

لنسائهم وأبنائهم التربية الدينية الصحيحة المبنية على التحلى بالفضائل
والتحلى عن منكرات الأخلاق والرذائل •

وبسبب اهمالهم لحسن تربيتهم وفساد تعليمهم ساءت طباعهم
وفسدت أوضاعهم ، وأخذوا يتناسون التعاليم الاسلامية والأخلاق
العربية ، لأنه اذا ساء التعليم ساء العمل ، واذا ساء العمل ساءت النتيجة ،
« ومن يرد الله فنتته فلن تملك له من الله شيئاً ، أولئك الذين لم يرد الله
أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » •

فهذه محض نصيحتى لكم ، قصدت بها نفعكم ودفع ما يضركم ، وانى
أرجو أن تقع منكم بموقع القبول والتنفيذ والاصلاح والتعديل والا
فستذكرون ما أقول لكم والله خليفتى عليكم ، وأستودع الله دينكم وأمانتكم
وأستغفر الله لى ولكم • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

الإخلاق الحميدة
للمرأة المسلمة الرشيدة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ومن همزات الشياطين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد : فقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
وأهليكم نارا » فأمر الله عباده بأن يقوا أنفسهم وأهلهم من عذاب النار ،
فوقاية النفس من النار تحصل بأداء ما افترض الله وترك ما حرم الله ، كما
أن وقاية الأهل من النار تحصل بأمرهم بالخير ونهيهم عن الشر ، تحصل
بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فما نحل رجل أهله وأولاده أفضل
من أن ينحلهم أدبا حسنا يهذبهم به على الصلاح والتقوى ، ويردعهم به
عن السفاه والفساد والردى ، فالرجل راع على أهله ومسئول عن رعيته ،
والمرأة راعية على بيت زوجها وبناتها ومسئولة عن رعيتهما ، كما ثبت بذلك
الحديث ، فمتى كان الرجل راعيا على أهله وعياله ، فإن من واجبه أن
يرعاهم بالمحافظة على الفرائض والفضائل وينهاهم عن منكرات الأخلاق
والرذائل ويأخذ بأيدي أولاده إلى الصلاة في المسجد معه ، ليتربوا على
محبة الصلاة بمداومتهم عليها ومزاولتهم لفعالها ، فإن من سب على شيء
شاب على حبه ، ولأنه يأخذ بيد الولد إليها ومجاهدته عليها يعود حبا ملكة
راسخة في قلبه تحببه إلى ربه وتقربه من خلقه وتصلح له أمر دنياه وآخرته
لأنها أم الفضائل والناهية عن منكرات الأخلاق والرذائل .

وكذلك المرأة ، بما أنها راعية على بيت زوجها وعلى بناتها ومسئولة
عن رعيتهما ، فإن من واجبها أن تربي بناتها على الحياء والستر والصيانة
والنهي عن التكشف والخلاعة وعلى الأمر بالطهارة وبالصلاة في وقتها ، فإن
الصلاة تقيم اعوجاجها وتصلح فسادها وتذكرها بالله الكريم الأكبر ،
وتصدها عن الفحشاء والمفكر .

ان الله سبحانه ، خلق الناس متفاوتين ولا يزالون مختلفين ، فمنهم
المسلم ومنهم الكافر ، ومنهم البر ومنهم الفاجر ، ومنهم الصالح ومنهم

الفاسق ، فمتى ترك الفاجر ينظاهر بكفره والحاده ، والفاسق يتظاهر
بفسقه وفساده بمرأى من الناس ومسمع ، فان هذا والله غاية الفساد
للمجتمع ، فان الأخلاق تتعادي والطباع تتناقل ، وانما ينتشر الشر غالبا
بسبب فشوهم ثم الاقتداء من بعض الناس لبعض فيه ، لأن رؤية المنكرات
تقوم مقام ارتكابها في سلب القلوب نور التمييز والانكار ، لأن المنكرات
متى كثر على القلوب ورودها وتكرر في العين شهودها ذهبت عظمتها من
القلوب شيئا فشيئا حتى يراها الناس فلا يرون أنها منكرات ولا يمر
بفكر أحدهم أنها معاصي وذلك بسبب سلب القلوب نور التمييز والانكار
على حد ما قيل : اذا كثر الامساس قل الاحساس ، وغايتها أن يغرق
الناس في الفساد على سبيل العدوى والتقليد الأعمى من بعضهم لبعض •
من ذلك أن النساء متى تركن يمشين في الأسواق بصورة خليعة كاشفة
الرأس والرقبة والصدر ، تبدى يديها الى العضد أو الابط ورجليها الى
نصف الساق بمرأى من الناس ومسمع ، بدون أن تنتهي وتمنع ، فانه
بتكرار النظر الى هذا المنكر تزول وحشته عن القلوب حتى يكون من
المعروف المألوف ، يشب على فعله الصغار ويهرم عليه الكبار •

لهذا ، يجب على النساء المسلمات تهذيب أنفسهن وتمارين بناتهن
على اللباس السابغ الساتر ، حتى تشب احداهن على محبته ومن شب على
شيء شاب على حبه وقد اخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - : « بأنه من
يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا » وصدق الله ورسوله ، فقد رأينا اختلافا
كثيرا في الأخلاق واختلافا كثيرا في العقائد والاعمال •

من هذا الاختلاف أننا مكثنا زمانا طويلا ونحن نرى النساء يتمتعن
بحالة مرضية وأخلاق كريمة زكية ، رأيناهن حتى الصغار منهن يرفلن في
حذل ساترة وثياب واسعة سابغة تغطي بها جميع جسمها وتغطي بالخمار
الساتر جميع رأسها ورقبتها وقلائدها ، تعتقد اعتقادا جازما بأنه من
واجب دينها وأنه شرط لصحة صلاتها ، وأن اسباغ الستر عليها هو عنوان
شرفها وفضلها وعلامة مجدها وظرفها ، فلو رأين من تبدى يديها الى
المرفقين أو الابط ورجليها الى نصف الساق وتمشى حاسرة الرأس والوجه

والرقبة بغير خمار لا بتدرننها بالضرب ، فضلا عن السب ، ولحسبنا
ساقطة شرف ومروءة وعديمة خلق ودين ، ليست من نساء المسلمين ، لأنها
لبسة منكرة يمجها العقل فضلا عن الدين وحتى النصارى على كفرهم ،
بدأوا يتراجعون عن هذا اللباس الضيق القصير ويدعون نساءهم الى
استعمال الثياب الواسعة السابغة وينشرون فضلها في مجلاتهم
وجرائدهم ، ويصورونها في السينمات ويرغبون نساءهم في استعمالها ،
وأنها من أسباب الصحة للجسم وخصوصا للحوامل ، وسيكون لهذا التداعى
تجاوب ولو بعد حين .

وفي هذا الزمان ، لما كثر اختلاط النساء المسلمات بالنساء المتفرنجات
من نصرانيات وعربيات لا دين لهن ولا خلق ، وطفقن يتعلمن منهن هذه
اللبسة المزرية القبيحة ، لبسة العرى والعار ولبسة الذل والصغار ولبسة
المتشبهات بنساء الكفار ، ومن تشبهه بقوم فهو منهم .

وأخذت هذه اللبسة تسرى في بيوت الأسر والعوائل الفاضلة ، يتحلى
بها الكبار ويتربى عليها الصغار ، على سبيل العدوى والتقليد الأعمى ،
والرؤساء وأرباب البيوت ساكتون واجمبون لا يريدون أن يغيروا شيئا من
هذه الأزياء ، من كل ما تشتهيه النساء وساعد على ذلك كثرة ما يشاهدونه
من عرض الأفلام الخليعة التى هى من الفتن التى تعرض على القلوب
كالحصير عودا عودا ، فتعمى نور القلب وتطفىء نور بصيرته ، بحيث
يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا .

فيا معشر النساء المسلمات : ان الله سبحانه شرفكن بالاسلام ،
وفضلكن به على سائر نساء الأنام ، متى قمتم بالعمل به على التمام وأن
المرأة بدينها وأخلاقها ، لا بزيها وجمالها . الزمن لباس الشرف والحشمة ،
لباس الظرف والفضيلة ، لباس الحياء والستر ، وهو اللباس الواسع السابغ ،
لباس الجلال والجمال ، لباس الحياء والوقار ، لباس الحرائر التقيات
الاطهار ، ولا ينجرف يكن الهوى والتقليد الأعمى الى مشابهة نساء الكفار ،
ولا تتخدعن بالدعاة الى النار ، الذين ييغونكن الفتنة وفيكن سماعون
لهم ويحسنون لكن ما يسوء فعله في حقكن .

فحذار ، حذار أن تكن من نساء أهل النار اللاتي وصفهن رسول الله ،
بأنهن الكاسيات العاريات المائلات الميلات ، لا يجدن عرف الجنة —
يعنى ريحها — فللمسلمة دينها وسترها وللكافرة خلاعتها وكفرها ، قال :
مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم « الآية » •

ان فى كتاب الله لأعظم مزدجر عن عمل كل منكر ، يقول الله : « يا
أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنین یدنین علیهن من جلابیبهن
ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذین » ، فأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنین بأن
یدنین علیهن من جلابیبهن ، والجلبات يشبه الرداء أو العباءة تغطى به جميع
جسمها الا ما تبصر به الطريق من فتح عينها ونحوه ، وهو من شأن الحرائر ،
بحيث يعرفن بالتستر فيحترمن ، وهذا نص قاطع فى وجوب ستر المرأة
الحرّة جميع جسمها حتى وجهها • وفى الآية الأخرى : « وقل للمؤمنات
یغضضن من أبصارهن ویحفظن فروجهن ولا یبدین زینتهن الا ما ظهر منها
ولیضربن بخمرهن علی حیوبهن » ، فأمر الله نبيه بأن يبلغ نساءه والنساء
المؤمنات بما يجب علیهن شرعا من آداب اللباس والتستر ، بأن یغضضن
من أبصارهن عن النظر الى الرجال الأجانب ، لكون النظر سهم مسموم من
سهام ابليس وما نظرة الا وللشیطان فیها مطمع •

وهو معدود من مقدمات الزنا ، سواء فى ذلك الرجل أو المرأة ، ولهذا
قال بعده : « ولیحفظن فروجهن » • وفى البخارى ، أن النبى — صلى الله
عليه وسلم — قال : « العینان تزنیان وزناهما النظر ، والقلب یتمنى
ویشتهى والفرج یرصدق ذلك أو یکذبه » ، ولما قال النبى — صلى الله
عليه وسلم — : « لا تلجوا علی الغیبات » • قال رجل من الأنصار : یا
رسول الله ، أرأیت الحمو ، یعنی أقارب الزوج ، قال : الحمو الموت ، لأنه
ما خلا رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشیطان ، كما ثبت بذلك الحدیث ، ثم
« ولأمة » « ولا یبدین زینتهن الا ما ظهر منها ولیضربن علی حیوبهن »
ولا یبدین زینتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ، حتى ذکر المحارم •

فنهى الله النساء المؤمنات عن ابداء زینتهن للرجال الأجانب الا

المحارم ، فهل يشتبه بعد هذا ابداء تحريم الزينة مع ما هو شر منها من الاختلاط بالشباب الأجانب والخلوة بها أو سفرها لأقصى البقاع وحدها لا محل للتردد في تحريم هذا العمل ، وتحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله ولا في تحريم اقراره وعدم انكاره •

ثم قال : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » ، والخمار هو ما يوضع على الرأس ويدار على الرقبة والصدر ، ومن شرطه أن يستتر ما تحته ، ويتأكد ذلك في الصلاة، بحيث يجب على المرأة المسلمة أن تستتر جميع جسمها في الصلاة ، ما عدا الوجه والكمين حتى ولو كانت في غرفة مظلمة أو في الليل ، فالله أحق أن يستحيا منه ، وهذا شرط لصحة الصلاة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم – « لا يقبل الله صلاة حائض – أى بالغ – الا بخمار » ، أما الخمار الشفاف الرقيق الذي لا يستتر ما تحته ، فان وجوده كعدمه ، فلا تصح الصلاة معه ، ويرحم الله نساء الأنصار ، لما نزل قوله : « **وليضربن بخمرهن على جيوبهن** » عمدن الى مروط تخينة فشققنها على رؤوسهن فخرجن وهن لا يعرفهن أحد من التستر ، ذكر معناه البخارى في صحيحه •

وفي الآية الأخرى : « **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله** » الى قوله : « **اذكرن ما ينلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا** » ، فهذا والله الخطيب اللطيف والتهديب الظريف ، يأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين بالتبع بأن يقرن في بيوتهن ، لأن أشرف حالة للمرأة أن تكون قاعدة في قعر بيتها ملازمة لمهنتها من خياطتها أو نشازتها أو كتابتها وقراءتها أو خدمة بيتها وعيالها لا يكتر خروجها واطلاعها •

لأن ثقل القدم من المرأة في بيتها فضيلة وكثرة الدخول والخروج رذيلة • وقد حكم النبي – صلى الله عليه وسلم – بين علي وفاطمة ، أن علي فاطمة خدمة داخل البيت ، وعلي علي جلب ما تحتاجه خارج البيت ،

وقد وصف الله نساء أهل الجنة بما تتصف به الحرائر العفاف في الدنيا ،
فوصفهن بالبيض المكنون ووصفهن بالمقصورات في الخيام •

ثم قال : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » ، فنهى عن تبرج
الجاهلية الأولى ، وهو ما يفعله النساء في هذا الزمان في بعض البلدان
من كون المرأة تظهر مفاتن جسمها ، فتبدي يديها الى العضد أو الآباط
ورجليها الى نصف الساق ، وتمشى حاسرة الرأس والوجه والرقبة بغير
خمار وتلبس عند الناس الثوب الضيق القصير الذي يميز أعضاء جسمها ،
فهذا هو تبرج الجاهلية الأولى ، ولم يكن معروفا في نساء المسلمين ، بل
ولا في نساء العرب على شركهم ، وإنما كان معروفا من زى نساء النصارى
والعجم ، ولما قال رجل للنبي - صلى الله عليه وسلم - : انى أرى نساء
العجم بادية صدورهن ووجوههن ، فماذا أفعل ! فقال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - : **اصرف بصرك عنهن** •

وفي هذا الزمان ، لما ضعف من بعض النساء الايمان زدن في الخلاعة
والتبرج على تكشف العجم والنصارى وعلى تبرج الجاهلية الأولى ، وكلما
ضعف دين المرأة وفسد خلقها أوغلت في التبرج وأخلاق التفرنج ، لأنها
ناقصة عقل ودين ومشبهة عقولهن بالقوارير ، وقد ابتليت بهذا الشباب
الطائش الذى يفتخر أحدهم بخلاعة زوجته وتبرجها في الأسواق بزيها
المزرى لا يثنيها وجل ولا يلويها خجل ، وربما ذهب بها الى أصدقائه من
الأغيار ليمتعهم بالنظر اليها ونظرها اليهم ويربط الصداقة بينها وبينهم
فيوقعها في الفتنة • والافتتان بها وهذا غلية في سقوط المروءة وذهاب الحياء
والغيرة لا يصدر مثله الا من شخص مهين عديم المروءة والدين •

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام

ان الستر والحيانة هما من أعظم العون على العفاف والحيانة ، فان
من العصمة أن لا تقدر • وقد أيدى النصارى ببغيهم الحسد للمسلمين على

سفرهم لنسائهم فبثوا من الأفلام الخليفة التي تغزو الناس في قعر دورهم
من شر سماعه ، فما بالك برؤيته •
من كل ما يدعو النساء الى الافتتان ويضعف منهن الايمان ، وقد قيل حسبك

ان الرجال الناظرين الى النساء

مثل السباع تطوف باللحمان

ان لم تصن تلك اللحوم أسودها

أكلت بلا عوض ولا أثمان

ثم قال : « وأقم الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله »
الى قوله : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله
كان لطيفا خيرا » •

فأمر الله نساء نبيه ونساء المؤمنين ، بأن يقمن الصلاة ، أى يأتين بها
في وقتها مقومة معدلة بخشوع وخضوع في السجود والركوع ، لأن لب
الصلاة الخشوع في الركوع والسجود ، ولأن الصلاة من أكد العبادات ،
وهي من أكبر ما يستعان بها على حسن تربية البنين والبنات ، لأنها عمود
الديانة ورأس الأمانة ، تهدي الى فعل الفضائل وتكف عن منكرات الأخلاق
والرذائل ، تنبت في القلب محبة الرب والتقرب اليه بطاعته ولا اسلام ولا
دين لمن ترك الصلاة ، فكل امرأة يدعوها زوجها الى الصلاة فتعصيه ولا
تطيعه وتصر على ترك الصلاة ، فانه يجب عليه فراقها ، لاعتبارها أن
الصلاة كفر ، والله يقول : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر لاهن حل لهم
ولا هم يحلون لهن » •

ثم قال : « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » •
فهذه الآية وما قبلها وردت مورد الخصوص لأزواج النبي ، ومعناها

العموم لسائر المؤمنات ، لأن الاعتبار في القرآن هو بعموم لفظه
لا بخصوص سببه كسائر نظائره •

وهذه الآية تعتبر من أقوى الدلائل على تعلم المرأة لأحكام الكتاب
والسنة وسائر العلوم الشرعية ، اذ هي كالرجل في ذلك ، ولأن العالم
الصحيح النافع يكسبها جميل الأخلاق والآداب ويرقيها الى الشرف
والكمال « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » •

وأما ما يذكر عن نهى النساء عن الكتابة ، فان الحديث مكذوب على
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولفظه عن عائشة قالت : قال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة
وعلموهن المغزل وسورة النور » انتهى • فهذا حديث لا يصح وقد حقق
العلماء بطلانه ، وأنه مكذوب على رسول الله ، فسقط الاحتجاج به ،
وقول الحق : هو أن المرأة كالرجل في تعلم الكتابة والقراءة والمطالعة في
كتب الدين والأخلاق وقوانين الصحة وتدبير المنزل وتربية النعال ومبادئ
العلوم والفنون من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير والتاريخ وكتب
الحديث والفقه ، كل هذا حسن في حقها تخرج به عن حضيض جهلها
ولا يجادل في حسنه عاقل مع التزام الحشمة والصيانة ، وعدم الاختلاط
بالرجال الأجانب •

وقد كان لنساء الصحابة والتابعين من هذا العلم الحظ الأوفر
والنصيب الأكبر ، فمنهن المحدثات ومنهن الفقيهات ، وللعلماء مؤلفات في
أخبار علوم النساء لا يمكن حصرها في هذا المختصر وحتى المصاحف ذات
الخط الجميل في الشام والعراق ، تقع غالباً بخط النساء وكثير منهن
يوصفن بالنبوغ والبلاغة غير المتكلفة ، ونحن نشير الى طرف يسير منها •

من ذلك ، أن عائشة أم المؤمنين كان الصحابة يسألونها من وراء
حجاب عما يشكل عليهم من الأحاديث وتفسير الآيات ، وعن الأحكام وأمور

الحلال والحرام ، وكانت تستدرك على الصحابة كثيرا من القضايا وهي معدودة من حفاظ الصحابة الذين أكثروا من الأحاديث عن رسول الله ﷺ وهم سبعة : ابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك وأبو هريرة وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري وعائشة ، ولا يكون مكثرا حتى يحفظ عن رسول الله فوق ألف حديث ، وهي كذلك ، وقد اشتهرت بالبلاغة والنبوغ والحفظ ، فمن بلاغتها ما رواه ابن عساکر في تاريخه عن جعفر بن عون عن أبيه عن عائشة ورواه أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، أنها قالت : أنه لما ألقى الدين بجرانه وألقى بركة ورسدت أوتاده ودخل الناس فيه أفواجا ومن كل فرقة أرسالا وأشتاتا ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه نصب الشيطان رواقه ومد طنبه ونصب حبائله فظن رجال أنه قد تحققت أطماعهم وآت حين الذين يرجون واني والصديق بين أظهرهم ، فقام حاسرا ومشمرا فجمع حاشيته ورفع فطرته فرد نشر الاسلام على غره ولم شعثه بطيه وأقام أوده بثقافة فوقذ النفاق بوطئته وانتاش الدين فنعشه ، فلما أراح الحق على أهله وقرر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء في أهبا أنته منبته فسد ثامه بنظيره في الرحمة وشقيقه في السيرة والمعد له : ذاك ابن الخطاب لله أم حفات له ودرت عليه ، لقد أوجدت به فقبح الشر وشرد الشرك وبعج الأرض فقاعت أكلها ولفظت خبيثها ترامه ويصد عنها وتتصدى له ويأبأها ، ثم ورع فيها وودعها كما صحبتها فأروني ماذا يرتبون وأي يومى أبى تتقمون ، أيوم أقامته اذ عدل فيكم ، أم يوم ظعنه عنكم وقد نظم لكم أمركم ، أقول فولى هذا واستغفر الله لى ولكم • انتهى •

فهذه نبذة يسيرة ، تدل الناظر على سعة علم نساء الصحابة وما وفقن نه من الفصاحة والاصابة ، مع حسن سبك الكلام المتضمن لجميل البلاغة والبيان ، وأن لهن العناية التامة بتعلم العلوم النافعة وتعليمها مع العمل بها •

وقد ظهر أثر بركة علمهن على أخلاقهن وحسن آدابهن ، لأنهن متى صلح العلم والتعلم صلح العمل ، واذا فسد العلم والتعلم ساء العمل ،

وإذا ساء العمل ساءت النتيجة ، لأن من العلم ما يكون جهلا ، وقد استعاذ النبي - صلى الله عليه وسلم - من علم لا ينفع ولا يستعيذ الا من الشر ، فمن العلم الذي لا ينفع والذي هو داخل في ضمن الجهل تعلم المرأة للرقص والغناء والتمثيلات السامجة التي هي غاية في الكذب ، وتصوير رسم الحيوانات الحية ، ثم يندفع بها سوء علمها وفساد عملها الى السفر للتعلم وحدها ، فتخرج من بيت أهلها متهتكة متبرجة ، تغشى دور الفجور ومحلات الفسوق ومسارح اللهو واللعب والخمور والسينمات ، مع تركها للفرائض والواجبات من الصلوات ، لأن هذا هو منتهى تعلم البنين والبنات في هذا الزمان •

ان الأصل في التعلم الصحيح هو اصلاح النفس بتربية الأخلاق والآداب الدينية بما يجعل المرأة صالحة مصلحة ، ثم تعلم العلوم النافعة ، لأن الغرض من تعليم البنات هو تربية أنفسهن وتهذيب أخلاقهن على المحافظة على الفرائض والفضائل واجتتاب منكرات الأخلاق والرذائل ، وهن أقبل الناس لتعليم الدين والأخلاق والخير وفيهن أتم الاستعداد للاستماع والاتباع لو وفقن للمعلمين والمعلمات المرشدين الصالحين ، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون •

ان في تعليم الاسلام ما يضمن السعادة والراحة للبنات ولسائر البيوت والعائلات ، لأن دين الاسلام يعلمهن فضيلة الستر والعفاف وفضيلة التواضع في المأكل واللباس ، وينهى عن المغالاة فيما يسمى الكماليات ، مما يعد خارجا عن الضروريات ، ويأمر بالاقتصاد في النكاح وينهى عن المغالاة في المهور ، ويقول : اذا خطب اليكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ان لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، ويأمر بالاقتصاد في النفقة بحسن التدبير ، وينهى عن الاسراف والتبذير ، حتى ولو كان على نهر جار ، ويأمر بالتودد الى الأرحام والجيران ، وحسن معاشرة الناس بالاحسان وبافشاء السلام وطيب الكلام ، وينهى عن اطلاق اللسان باللعن والسب ، لا اعتبار أن الأم مدرسة لأولادها في الخير والشر ،

فمتى كانت بذيئة اللسان تعلم ذلك أولادها منها وصاروا يتقاذفون باللعن فيما بينهم ، ثم تعليمهن النظافة في الجسم والثياب والمنزل والعيال ، وأن النظافة من الايمان ، ومن أسباب الصحة للأبدان •

والناس يعرفون ظرف المرأة بنظافة جسمها ونظافة بيتها وعيالها ، وأن أشرف حاله المرأة أن تكون قاعدة في قعر بيتها ملازمة لمهنتها من خياطتها أو مغزلها أو خدمة بيتها وعيالها ، لا يكثر خروجها واطلاعها ، لأن بقاء المرأة في بيتها فضيلة وكثرة دخولها وخروجها رذيلة ، ويأمرها برعاية حقوق زوجها ، وحسن صحبته ومعاشرته ولزوم طاعته بالمعروف • وأن لا تكلفه ما يشق عليه من متطلباته بالكفايات التي قد لا يستطيع الحصول عليها الا بمشقة ، وأن لا تأذن في دخول بيته لمن يكره دخوله من رجل أو امرأة ، وأن لا تخلو مع رجل ليس بمحرم لها •

فهذه هي التعاليم الاسلامية والأخلاق الدينية التي تجعل المرأة سالحة مصلحة في بيتها وبيئتها وحسن تربيتها الأولادها وبناتها وتجعلها سعيدة في حياتها وبعد وفاتها ، ولا يوفق للعمل بهذه المزايا الفاضلة والوصايا النافعة الا خيار النساء علما وعقلا وأدبا ودينا •

وانما نكب المسلمون وأصيبوا بالنقص من فساد الأخلاق والأعمال كله من أجل اهمالهم لحسن تربية أولادهم وبناتهم التربية الدينية النافعة التي تجعل المرأة سيدة بيت وسيدة عشيرة •

ان نابتة التفرنج وعشاق التبرج الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وخرقوا سياج الشرائع واستخفوا بحرمان الدين واتبعوا غير سبيل المؤمنين يظنون من رأيهم القصير وعزمهم الحقير أن الحضارة والتمدن والرقى والتقدم أنه في تشييد القصور ومعاقرة الخمور ومجارة النصارى في الحرية والخلاعة والسفور ، قد ضربهم من الجهل سراق ومن الغباوة أطباق وغرهم بالله الغرور •

تالله لقد سلكوا شعاب الضلالة وسقطوا في هوات المذلة ورضوا
بأخلاق المذمة ، الذي ساقهم اليها ودلهم عليها صريح الجهل وسفالة
الأخلاق ومجالسة الفساق ، فان داموا على ما هم عليه ولم يعدنوا
سيرتهم ولم يرجعوا الى طاعة ربهم صاروا مثالا للمعائب ورثقا لنبال
المثالب وسيسجل التاريخ مساوئهم السيئة التي خالفوا بها سيرة سلفهم
المصالحين الذين شرفوا عليهم بتمسكهم بالدين وطاعة رب العالمين فلا
أدرى من أحق بالأمن ان كنتم تعلمون •

نسأل الله سبحانه أن يهدينا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها الا
هو وأن يصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها الا هو ، ونعوذ بالله من
شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ومن همزات الشياطين ، وصلى الله على
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

حرر في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٩٤ هـ •